

تركيا و الصراع العربي الإسرائيلي : خلفيات الوساطة

طبي محمد¹

ملخص الدراسة باللغة العربية :

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الدور التركي في الصراع العربي الإسرائيلي و أبعاد هذا الدور انطلاقا من دورها في الوساطة التي تبنتها بين طرفي الصراع ، وتحاول الدراسة التركيز و الكشف عن أهداف ودوافع تركيا من توسطها في هذا الصراع المزمع ، كما تسعى لتفسير سلوك طرفي الصراع من الوساطة التركية ودوافع قبولهما الوسيط التركي ، و تقييم هذه الوساطة انطلاقا من القدرات التي تملكها و تتمثل في الموقع الإستراتيجي و عدد السكان والموارد الطبيعية والقوة العسكرية .

ملخص الدراسة اللغة الإنجليزية :

the following study aims to analyze the turkish role in the arab-israeli conflict
The study attempts to focus and reveal the objectives and motives of Turkey to mediate in this conflict, It also seeks to explain the behavior of both parties to the conflict from Turkish mediation and the motives of their acceptance by the Turkish mediator, And evaluate this mediation from the capabilities possessed by the strategic location and the population and natural resources and military strength.

الكلمات المفتاحية :

الوساطة التركية ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مصادر قوة تركيا

1- أستاذ بجامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر .

مقدمة:

ظلت تركيا في محيطها الإقليمي لعقود طويلة تستمد ركائز حضورها الدولي ودورها الإقليمي من علاقاتها الإستراتيجية الوثيقة مع القوى الدولية الفاعلة خارج فضاءها الجيو استراتيجي و الحضاري كالولايات المتحدة و الاتحاد الأوربي هذا إلى جانب تدشينها علاقات ثم تحالفات إستراتيجية مع إسرائيل وهو التوجه الذي أسهم إلى حد كبير في توسيع الفجوة بين تركيا ومحيطها العربي والإسلامي .

إلا أن هذا التوجه بدأ يشهد تحولا ملحوظا خلال العقد الأخير تمثل بمساعي التقارب التركي مع المحيط العربي و التحركات التركية الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط والتي نشطت مؤخرا من خلال اضطلاع أنقرة بعمليات الوساطة في تسوية بعض الصراعات و النزاعات المزمدة بدءا من الصراع العربي الإسرائيلي عبر رعاية المفاوضات غير المباشرة بين إسرائيل و سوريا وإبداء أنقرة استعدادها لوساطة أخرى بين تل أبيب وكل من بيروت والفلسطينيين من جانب آخر مرورا بعرض مساعيها للمساهمة في تسوية المسألة النووية الإيرانية والأزمة السياسية اللبنانية .

فما هي خلفيات الوساطة التركية في الصراع العربي الإسرائيلي ؟

وسيَعتمد الباحث على الخطة التالية لمعالجة هذه الإشكالية :

المحور الأول: قدرات الدور التركي في الشرق الأوسط.

المحور الثاني: دوافع الوساطة التركية في الصراع العربي الإسرائيلي في فترة حزب العدالة و التنمية.

المحور الثالث: موقف طرقي الصراع من الوساطة التركية.

خاتمة .

المحور الأول : قدرات الدور التركي في الشرق الأوسط

تعرف السياسة الخارجية لدولة ما، بأنها تنظيم نشاط الدولة في علاقاتها مع غيرها من الدول، و ترتبط السياسة الخارجية للدولة بمجموعة عوامل تؤهلها للعب دور ما سواء علي المستوى الإقليمي أو الدولي و تتمثل في: الموقع الجغرافي، عدد السكان، الموارد الطبيعية، القوة العسكرية¹.

أولا : الموقع الجغرافي لتركيا

تبلغ المساحة الإجمالية لتركيا 779500 كيلو متر مربع وهي دولة أوراسيوية ، حيث يقع قسم صغير منها والذي تبلغ مساحته حوالي 23800 كم أي ما يعادل 3% من إجمالي مساحة تركيا في قارة أوروبا، في حين يقع القسم الأكبر منها في قارة آسيا و يعرف باسم آسيا الصغرى أو هضبة الأناضول، ويفصل بين القسمين الأوربي و الآسيوي من الأراضي التركية مضيق البوسفور و بحر مرمرة ومضيق الدردنيل وجميعها تشكل ممر مائيا هاما بين البحر الأسود والدول المطلة عليه والبحر المتوسط ، وخطوط المواصلات البحرية العالمية من جهة أخرى، هذا ويربط بين قسمني تركيا الأوربي و الآسيوي جسر معلق يمتد فوق مضيق البوسفور ويعتبر هذا الجسر من حيث طوله الرابع في العالم بين الجسور المعلقة وتمتد الأراضي التركية بين دائرتي عرض 36-42 درجة شمالا وخطى طول 26-44 درجة شرقا وهي بذلك تبدو في هيئة مستطيل عرضه من الشمال إلى الجنوب 483 كم وطوله من الشرق إلى الغرب 1450 كم² ، و يبلغ طول سواحلها 83333 كم على البحر الأسود و 90 كم على البوسفور و 927 كم على بحر مرمرة والباقي سواحل و جزر، حيث أنها تسيطر على مدخل البحر الأسود و على المدخل الشرقي للبحر المتوسط³. وتكمن أهمية موقع تركيا في أنها⁴:

1- تتوسط قارات العالم القديم الثلاث آسيا وأوروبا وإفريقيا، وقد منحها هذا الموقع منذ القدم القدرة على التفاعل الحيوي في المحيط الإقليمي بحيث تؤثر وتتأثر بالعناصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية القائمة على تخومها، وتمتد الأراضي التركية بين آسيا وأوروبا، حيث يشكل الجزء الواقع في غرب آسيا 97% من مساحة البلاد

1 - بطرس بطرس غالي ، محمود خيري عيسى ، مدخل في العلاقات السياسية ، القاهرة : مكتبة الانجلو مصرية ، 1990، ص 351 .

2 - جودة حسنين جودة ، على أحمد هارون ، جغرافية الدول الإسلامية ، الإسكندرية : منشأة المعارف ، 1999، ص 667 .

3- عبد الرزاق بركات ، " تركيا و قضايا السلام في الشرق الأوسط، عناصر القدرة - الركائز - التوجه "، شؤون الشرق الأوسط، العدد 12، أكتوبر 2004، ص 54.

4- على حسين باكير وآخرون ، تركيا بين تحديات الداخل و رهانات الخارج ، ط1 ، لبنان: دار العلوم للناشرين ، 2009 ، ص 20 .

ويضم عاصمة الدولة أنقرة ويعرف باسم آسيا الصغرى أو منطقة الأناضول بينما يقع الجزء الباقي منها في جنوب شرق أوروبا ويضم إسطنبول .

2- تقع في قلب المجال الجغرافي المسمى أوراسيا وهي بذلك تعتبر المنطقة الوسطية المتحكمة في منطقة قلب العالم وفق نظرية هالفورد ماكندر الجيو بوليتيكية الأمر الذي يؤهلها لأن تكون دولة محورية أو حاسمة في المجال الجيو سياسى .

3- هي دولة قارية وبحرية في نفس الوقت وهي ميزة قلما تتوفر في دولة تتمتع بالمكانة الجغرافية التي تمتلكها تركيا وللمقارنة فإن مساحة تركيا أكبر من ولاية تكساس بقليل، كما أنها توازي تقريبا مساحة ألمانيا وإسبانيا مجتمعتين، وتحد تركيا ثمانية دول ففي الجنوب الشرقي جورجيا 252 كم وأرمينيا 268 كم وأذربيجان 9 كم ، وفي الشرق إيران 499 كم ، وفي الغرب اليونان 206 كم ، وفي الشمال الغربي بلغاريا 240 كم ، وفي الجنوب سوريا 822 كم والعراق 352 كم ، ويتيح انتشار هذا العدد من الدول على حدودها حرية أكبر في اختيار سياسات أو تحالفات أو إقامة تجمعات في ظل كون تركيا محورية في مجالها الجغرافي .

4- تحدها المياه من ثلاث جهات، البحر الأسود في الشمال وبحر إيجه في الغرب والبحر المتوسط في الجنوب، كما أنها تسيطر على ممرين مائين مهمين لطالما شكلا تاريخيا محورا للصراع بين الإمبراطوريات والدول أيضا هما مضيق البوسفور في الشمال حيث يصل بين البحر الأسود وبحر مرمرة ويبلغ طوله حوالي 30 كم وعرضه 1 كم، ومضيق الدردنيل في الجنوب الغربي ويصل بين بحر مرمرة والبحر المتوسط عن طريق بحر إيجه طوله 60 كم وعرضه يتراوح ما بين 1 كم - 6 كم مما يعطيها القدرة على التحكم ويتيح لها التحول إلى قوة مائية إضافة إلى كونها قوة قارية

ثانيا : عدد السكان

تمتاز تركيا بقوة بشرية هائلة تساهم في زيادة دورها الإقليمي، وتترتب تركيا على المرتبة 17 عالميا من ناحية التعداد السكاني، ويغلب على هذه القوة البشرية العمر الشبابي هذا ما يجعلها أكثر ديناميكية ونشاط. ويبلغ عدد السكان 72561312 اعتبارا من 1 يناير 2010، ومتوسط 94 نسمة لكل كم مربع، 75.5 % من مجموع السكان يعيشون في المدن والقرى ، 24.5 % في المدن الصغيرة أو الريف، وينتشر هذا العدد كالاتي : إسطنبول 12915158 اعتبارا من أول يناير 2010 ، 17.8 % من مجموع السكان، 2444 شخصا لكل كيلو متر مربع . أنقرة: 4650802 اعتبارا من أول يناير 2010 و 6.4 % من مجموع السكان . أزمير: 3.868.308 اعتبارا من أول يناير 2010 ، 5.3 % من مجموع السكان، 316 شخصا لكل كم مربع . بايورت و بأقل عدد السكان في تركيا : 74710 (اعتبارا من أول يناير 2010) ، أما العمر الهيكلي فيتمثل

في: 36462470 الذكور (50.3٪)؛ 36098842 الإناث (اعتباراً من أول يناير 2010)¹، و في سنة 2015 وصل عدد السكان إلى 79414269 وجاءت في المرتبة 18 عالمياً حسب موقع Global Firepower.

ثالثاً : القوة الاقتصادية

إن موقع تركيا و طبيعتها المتنوعة جعلها منها بلداً غنياً بالموارد الطبيعية وباستثناء افتقارها إلى كميات معتبرة من النفط والغاز، فإن تركيا تكاد تحتكر المورد الأكثر أهمية على صعيد المنطقة وهما المياه والغذاء وهما موردان تتوقع الدراسات المستقبلية أن يتسببا في صراعات دولية للاستحواذ عليهما في ظل الشح الذي تعاني منه الدول من جراء تناقص منسوب المياه والافتقار إلى الاكتفاء الذاتي في ظل تنامي السكان².

تعتمد تركيا اعتماداً كبيراً في مواردها الطبيعية على الزراعة، حيث تمتلك اقتصاداً زراعياً ناجحاً، نتيجة استخدام طرق ووسائل الزراعة الحديثة، والتي تستخدم على نطاق واسع، وغالبية السكان يعملون بالزراعة التي تقوم عليها صناعة المنتجات الزراعية و الحيوانية، وتعتمد تركيا في صادراتها على هذه المنتجات التي تشكل ما قيمته حوالي 60% من حجم الصادرات التركية، وتعتبر السهول الغربية و الجنوبية في تركيا من أحصص البقاع إذ يزرع فيها القمح و الشعير و الذرة و القطن و الأرز و البنجر و الخضر و الفاكهة³، كما تحتل المرتبة الأولى في زراعة الكروم بين المحاصيل التجارية التركية في المساحة وتصدر للعالم في بعض السنين الزبيب، كما تشتهر بمراعيتها العظيمة التي تشغل معظم مناطقها الجبلية، ومناطق الإستبس شبه الجافة حيث تشكل المراعي عماد الثروة الحيوانية التي تربي عليها الملايين من الأغنام والماشية، لذلك فإن تركيا غنية بصناعة منتجات الألبان و الجلود و الصوف و اللحوم⁴.

وانطلاقاً من المؤشرات الاقتصادية لسنة 2008 يمكن ملاحظة أن الناتج المحلي وصل إلى 1.028 ترليون دولار وحصص الفرد من الناتج المحلي وصلت إلى 10745، المداخيل من الزراعة كانت بنسبة 8.5% والصناعة بـ 28.6% والخدمات بـ 62.9% و أبرز الزراعات هي القطن والشاي والتبغ والزيتون والعنب والفاكهة

1 - بكر محمد رشيد البدور، المكانة الإقليمية لتركيا حتى عام 2010، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2016، ص 56.

2 - على حسين باكير وآخرون، مرجع سابق الذكر، ص 24.

3 - يسرى الجوهري، جغرافيا دول الخليج العربي و المشرق الإسلامي، الإسكندرية: مؤسسة الجامعة، 2001، ص 153.

4 - جودة حسنين جودة، على أحمد هارون، مرجع سابق الذكر، ص 188.

والحبوب والبنديق والشعير ، أما أبرز الصناعات فتمثلت في المنسوجات والمواد الغذائية والمشروبات والكهربائيات والسيارات والمناجم واعتلت المرتبة 16 عالمي¹ .

وبتتبع مستويات النمو الاقتصادي خلال الفترة من عام 2000-2010 نجد أن الوسط الحسابي لمعدلات النمو خلال كامل المدة هو 3.4 % كما يمكننا رصد جملة من الملاحظات على النحو التالي : - انخفاض معدلات النمو خلال الأعوام 2006-2011 من 6.9 الى 3.4 % - تراجع معدلات النمو بصورة ملموسة خلال العامين 2008-2009 نتيجة تفاقم الأزمة الاقتصادية العالمية والتراجع الحاد في سعر صرف الليرة التركية الذي تجاوز 25 % - عاد الاقتصاد التركي لتحسن في عام 2010 واقترب النمو من معدلات الفترة الممتدة بين 2000-2008 ثم تراجعت هذه المعدلات في العام 2011 مجددا نتيجة تجدد الأزمة العالمية لكنها لم تصل إلى حدود 2009² .

وكان الاقتصاد التركي قد سجل نموا بلغ 2.9% عام 2014، في حين بلغت القيمة الإجمالية للنتائج المحلي 798 مليار و400 مليون دولار ، ووفقا لإعلان البنك الدولي، فإن حصة الفرد من الناتج التركي عام 2014 بلغت 10 آلاف و830 دولارا³ .

ورغم أنها تعرضت لعقوبات اقتصادية قاسية من روسيا عقب إسقاط الطائرة الروسية، ومع ذلك وجدنا أن موسكو تطلب ودها حالياً وتقرر تطبيع العلاقات السياحية معها، واستكمال مشروع "السييل" لنقل الغاز الروسي لأوروبا ، كما أنها تواجه ظروفًا إقليمية متريفة، منها تداعيات الحروب المشتعلة في دول الجوار (العراق وسورية)، وانخفاض أسعار النفط عالمياً، وتراجع القوة الشرائية لدى الأسواق الألمانية والعراقية، المستهلك الرئيسي لمنتجاتها. ورغم كل هذا أظهرت بيانات رسمية حدوث قفزة في معدل نمو اقتصادها ليصل إلى 5.7% في الأشهر الثلاثة الأخيرة من عام 2015 ، كما نما بنسبة 4% في عام 2016 ، ليتجاوز توقعات المؤسسات المالية التي توقعت ألا يتجاوز المعدل 3.9%⁴ .

1 - على حسين باكير وآخرون ، مرجع سابق الذكر، ص25 .

2- بكر محمد رشيد البدور ، مرجع سبق ذكره ، ص 58.

3 - خليل مبروك ، مؤشرات تدفع الاقتصاد التركي لمزيد من النمو ، الموقع :

<http://www.aljazeera.net/news/ebusiness/2016/1/14/>

4- مصطفى عبد السلام ، معجزة تركيا الاقتصادية ، موقع :

رابعاً- القوة العسكرية التركية :

إن المقدرة العسكرية تعزز من أهمية تركيا كقوة في المنطقة و كقوة أساسية في حلف الأطلسي ، حيث يبلغ حجم القوات التركية عند التعبئة حوالي 1,5 مليون جنديا و حجم القوات العاملة يصل إلى 480 ألف جندي ، بالإضافة إلى أن هناك اتفاقات عسكرية ترتبط بها تركيا مع الولايات المتحدة الأمريكية وتحالفها الاستراتيجي مع إسرائيل وكذلك عضويتها في حلف شمال الأطلسي منذ عام 1952¹ ، ولقد ضمنت تركيا بانضمامها لحلف شمال الأطلسي إعادة تسليح قواتها بأحدث المعدات، مما يقوى شوكتها في منطقة الشرق الأوسط .

وتعد الولايات المتحدة الأمريكية المصدر الأول للأسلحة التركية بنسبة تصل إلى 80 % ثم ألمانيا بنسبة بلغت 10 % ثم حلف شمال الأطلسي بنسبة 3 % والصين بنسبة 2 % ودول شرق آسيا بنسبة 0.01 % ودول الشرق الأوسط بنسبة 0.01 % ، وكانت الميزانية التركية لسنة 2014 قد بلغت 193 مليار دولار وقد تم تخصيص مبلغ 25 مليار دولار لميزانية الدفاع للعام 2015 بزيادة 9.5 % ، وتحتل المرتبة الثامنة عالميا تبعا لعدد الجنود الملتحقين بالخدمة العسكرية الفعلية ، كما تحتل المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة في حلف شمال الأطلسي تبعا لذات المؤشر² .

و نشر موقع "Global Firepower" تصنيفا جديدا لأقوى جيوش العالم لسنة 2017 ، وتم أخذ الإمكانات النووية للدول والدعم الاقتصادي للجيش والعوامل الجغرافية، المؤثرة على إمكانية استخدام القوات المسلحة، بعين الاعتبار أثناء وضع التصنيف، حيث احتلت تركيا المرتبة العاشرة بين 126 دولة ، وجاء في الإحصاءات أن عدد القوى العاملة هو 41,637,773 ، وأن عدد اللائقين للخدمة هو 35005326 وعدد الأفراد الذين في سن التجنيد هو 1370407 ، عدد أفراد الاحتياط 185,630³ .

<https://www.alaraby.co.uk/economy/2016/3/31/> .

1- محمد ناجي عيسى أسعد ، " السياسة الخارجية التركية تجاه القضايا العربية دراسة حالة الأزمة العراقية و القضية الفلسطينية 2003-2006 " ، رسالة ماجستير ، معهد البحوث والدراسات العربية ، قسم الدراسات السياسية ، 2007 ، ص 192 .

2 - بكر محمد رشيد البذور ، مرجع سبق ذكره ، ص 77 .

3 - <http://www.globalfirepower.com> .

المحور الثاني: دوافع الوساطة التركية في الصراع العربي الإسرائيلي في فترة حزب العدالة والتنمية :

أدى تدهور الأوضاع خاصة منذ عام 2000 إلى تزايد المطالبات بتدخل الأطراف الثالثة ، وكذا زيادة الضغط من الرأي العام التركي ووسائل الإعلام لدفع حكومة أجاويد الائتلافية بالتدخل، وهو ما طرحه أطراف الصراع أنفسهم بأشكال مختلفة ، فالحكومة الإسرائيلية (ممثلة في رئيس الوزراء الإسرائيلي شارون) طالبت تركيا في نوفمبر 2000 وأغسطس 2001 بالتدخل للضغط على الراحل عرفات والفلسطينيين للتخلي عن العنف والإرهاب (وفقا للمفهوم الإسرائيلي) ، وبالمثل طالب الرئيس الفلسطيني عرفات والحكومة الفلسطينية بتدخل تركيا لإقناع إسرائيل بالعودة إلى المفاوضات، وإنهاء العمليات العسكرية¹ .

وتطرح خطابات العدالة والتنمية موضوعات وجوانب متعددة لأدوار تركيا في منطقة الشرق الأوسط وتشكل هذه الجوانب امتدادا طبيعيا لرؤية الحزب للعالم ومكانة تركيا فيه كدولة "مركز" والتوجهات "التعاونية" الدافعة لأدوارها على المستويين العالمي والإقليمي ، فجوهر "الدور الجامع" الذي يؤكد عليه الحزب هو أن تؤدي تركيا دور "مركز تحقيق الأمن والاستقرار" في الأقاليم المتعددة التي تنتمي إليها وتؤثر فيها بحكم طبيعتها كدولة مركز، ويقول أوغلو في هذا السياق إن النتيجة الأكثر أهمية لإعادة تعريف مكانة تركيا كدولة مركز تتمتع بالعمقين الجغرافي والتاريخي هي " أن تتخلى تركيا عن دورها كدولة طرفية أو هامشية باعتباره جزءا من الماضي، وأن تشغل مكانة جديدة ملائمة لها كدولة مركز، أي الدولة التي لا تكتفي بتحقيق الأمن والاستقرار والنظام لنفسها فقط، بل توفر هذه العناصر للمناطق المجاورة لها² .

وينطبق الأمر ذاته على منطقة الشرق الأوسط، حيث يذكر أوغلو أنه "لا ينبغي أن يُنظر إلى وجود تركيا في مركز الشرق الأوسط على أنه أمر سلبي أي أنه سيكون على شكل حروب على سبيل المثال فما أقصده بدولة مركز هو أنها ستكون موجودة في لب التطورات في الشرق الأوسط بشكل سلمي وبأدوات اقتصادية وثقافية³ .

وفي تأكيد على نفس المعنى، خلص غل في خطابه المعنون " تركيا والعراق والشرق الأوسط: آفاق مستقبلية" أمام مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك في فبراير 2007 ، إلى أن " تركيا بقوتها العسكرية ونموها الاقتصادي

1 – Gurkaynak,Esra Cuhadar .Turkey as a Third party in Israeli-Palestinian Conflict: Assessment and Reflections .Perceptions ,12(1),2007 ,p.101.

2 - Davutoglu Ahmed ,"Turkey's foreign policy vision: an assessment of 2007". Insight Turkey,(10) , 2008 ,p.79 .

3- نور الدين محمد ، " حوار أحمد داود أوغلو : الإستراتيجية التركية الجديدة" ، شؤون الأوسط ، العدد 116 ، 2004 ، ص 144 .

وقوتها الناعمة ، تمتلك مركزا فريدا من أجل دفع السلام والأمن والرخاء لصالح جميع الشعوب في الإقليم الواسع الذي تنتمي إليه " ، مؤكدا أن تركيا "ستواصل دورها كقوة في جانب الحرية والاستقرار"¹ .

و تجدر الإشارة هنا إلى أن عنوان "الدور الوسيط" لتركيا ، كان من أكثر القضايا التي تعرضت للنقاش والسجال كما في تركيا كذلك داخل إسرائيل، وكان لسان حال المؤيدين لإسرائيل بين الكتاب الأتراك أن تركيا بانحيازها إلى غزة وحركة حماس وانتقادها الشديد لإسرائيل إنما تجازف بخسارة حياديتها في الصراع العربي الإسرائيلي، وفي المقابل يذكر الأستاذ محمد نور الدين أن تركيا في الأساس لم تكن في سياستها الخارجية الجديدة مع حزب العدالة والتنمية تسعى إلى مثل هذا الدور الوسيط ، وهي عندما قالت بسياسة تعدد البعد إنما كانت تهدف إلى ملء الفراغ الذي كانت تشهده العلاقات التركية مع العالم العربي والإسلامي ومع روسيا وكل القوى التي تقع خارج الدوائر الأمريكية و الأوروبية والإسرائيلية ، لذا كان الانفتاح الكبير على كل من سوريا وإيران ودول الخليج وروسيا وما إلى ذلك ، و في المفاوضات الإسرائيلية السورية تحديدا لم تطرح أنقرة نفسها وسيطا ولم تعرض بضاعتها للبيع ، بل جاء الطلب من جانب رئيس حكومة العدو أيهود أولمرت نفسه فوافقت تركيا بعد أن وافقت أيضا سوريا، فدور الوساطة ليس هدفا في حد ذاته لأنقرة ، بل إنه يحمل من المجازفة بالخسارة في قضايا معقدة مثل قضايا الشرق الأوسط أكثر مما يحمل من الوهيج والتباهي، إن مبادرة تركيا إلى التحرك لحل قضايا المنطقة لا يعني القيام بدور الوسيط أو ترجمة ذلك عبر دور الوسيط، فالمبادرة شيء والدور الوسيط شيء آخر، فتركيا بادرت بعد احتلال العراق إلى اجتماع دول الجوار الجغرافي للعراق ليس من منطلق الوساطة بين أمريكا والقوى المعنية بالوضع بل لممارسة ضغط أو بلورة رؤية تمنع الأمريكيين من الإقدام على عملية الاحتلال وهزّ خريطة المنطقة، وبالتالي لم تكن تركيا حيادية، فقد كانت تريد وقف المخططات الأمريكية المتعارضة مع المصالح التركية وأولها احتمال تقسيم العراق² .

وقد استؤنفت مفاوضات السلام غير المباشرة بين إسرائيل و سوريا في مايو 2008 بعد ثماني سنوات من الجمود، وقد مثل الوفد الإسرائيلي في المفاوضات الجارية في تركيا شالوم ترجمان و يورام تروبوفيتز، ومن الجانب السوري كان رياض داودي، وقد جرت أربع اجتماعات في إسطنبول و أنقرة خلال الربيع و الصيف، لعب خلالها الوسيط التركي دور الرسول لأن المفاوضات لم يلتقيا وجها لوجه كما لم يقيما في نفس الفندق ، وفي بيان صادر

1 – Abdulah gul , horizons of Turkish Foreign Policy in the New century , from

:www.mfa.gov.tr/data/bakanlik/bakanlar/abdulahgul kitap . pdf.2007,p.519.

2- محمد نور الدين ، الدور التركي في منطقة الشرق الأوسط ، جريدة الاتحاد اليومية (الصحيفة المركزية للاتحاد الوطني الكردستاني) ، 2005/05/10 .

عن رئيس الوزراء الإسرائيلي ايهود أولمرت في 21 مايو 2008 في يوم الاجتماع الأول، كشف أن التحضير لهذا التحرك قد بدء قبل عام، وأن إسرائيل اقتربت من تركيا وطالبتها بالتوسط¹.

ولقد جددت تركيا في القيام بهذه الوساطة فرصة لتعزيز دورها كلاعب سياسي ومؤثر في الشرق الأوسط، وتأكيد أن مسيرتها نحو الغرب ومساعدتها للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي لن تحت جذورها الممتدة في الشرق وعالمها الإسلامي، وهو الأمر الذي وازبت حكومة العدالة على انتهاجه منذ وصولها إلى السلطة، غير أن هذه الوساطة هذه المرة يجب ألا ينظر إليها بمعزل عن الموقف الداخلي، ومن ثم يربط البعض بين قيام أردوغان بالوساطة بين سوريا وإسرائيل في محاولة منه للفت نظر واشنطن حتى تقف إلى جواره في صراعه الداخلي مع الأحزاب و الهيئات العلمانية، وكذلك بالنسبة للاتحاد الأوروبي، ولاسيما أن هناك في تركيا من يرى أن واشنطن تغض النظر تماماً عن الموقف الصعب الذي يتعرض له أردوغان لإجباره هو و حكومته و مؤيديه على ضرورة انتهاج موقف مؤيد لواشنطن في حالة ضرب النظام الإيراني².

وتم اختيار تركيا للعب هذا الدور دون غيرها، نظراً لأن بإمكانها زحزحة المشروع الإيراني الذي يأتي على رأس أولوياتها لتحالف الإيراني السوري، وبالتالي فإن نجاح المفاوضات السورية الإسرائيلية سيقود إلى تراجع في أولوية هذا التحالف مع إيران على سلم اهتمامات صانع القرار السوري، وهذا التراجع سيصب في مصلحة تركيا في مواجهة إيران³.

وفي حالة توجيه ضربة أمريكية لها ستكون واشنطن وتل أبيب في حاجة ماسة إلى تركيا، التي يُنظر إليها في هذه الحالة على أنها القوة الموازية لإيران، مع توقع ازدياد حجم تركيا كقوة كما يمكن تعظيم دورها في العراق تحديداً، وهو أمر تنظر إليه أنقره بشدة بعد أن اقتنعت أن سلبيتها عند غزو العراق لم تنتج لها سوى المشاكل وكان في مقدمتها بطبيعة الحال ملف الأكراد، أحد أهم الملفات التي تضعها تركيا في مقدمة أولوياتها اليوم بعد أن اضطرت إلى التدخل العسكري لاجتثاثه بموافقة أمريكية⁴.

1- ألاء الروي، " المصالح المتشاحنة ما بين إسرائيل وتركيا: رؤية إسرائيلية"، مركز الأهرام لدراسات السياسية و الإستراتيجية، العدد 10، أكتوبر 2009، ص 31.

2- أسامة عبد العزيز، " تركيا الطامحة إلى ترسيخ دورها الإقليمي"، جريدة الأهرام، 29-4-2008.

3- مصطفى اللباد، بين المشاريع الثلاثة: الإيراني، والتركي، والإسرائيلي، الصراع على سوريا، صحيفة الرأي www.arraee.com

4- أسامة عبد العزيز، مرجع سابق الذكر.

كما أن حكومة أردوغان كانت تحاول التقرب أكثر من سوريا لعزل التواجد الإيراني فيها وكبح جموح الأخيرة في لعب دور أكثر فعالية في الشرق الأوسط، ولذلك بدأ المسئولون الأتراك يركزون على دبلوماسية إعادة بناء شبكة علاقات مع الدول العربية بهدف مواجهة المد الإيراني في الشرق الأوسط ، وكان جوهر الموقف التركي يقوم على الاعتدال ، وتعزيز خيار عملية السلام ، لتحقيق الاستقرار ، في هذا السياق يمكن وضع مشاركة الجانب التركي في مؤتمر أنا بوليس ، ولعبت حكومة أردوغان دوراً في توفير شروط مشاركة سوريا في هذا المؤتمر¹ .

هذا و بينما رسمت تركيا أطر سياستها الخارجية لاحتلال مكانة إقليمية بارزة في محيطها الجغرافي ، مستغلة احتلال الموازين في منطقة الشرق الأوسط فإذا بإسرائيل حليفها الإستراتيجية تتعمد تسريب أنباء خلاصتها ورغبتها في نقل الوساطة في المفاوضات غير المباشرة مع سوريا من تركيا إلى أذربيجان بعد الأزمة التي شهدتها العلاقات التركية - الإسرائيلية على خلفية العدوان الإسرائيلي على غزة ، ودفع هذا رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان لاصطحاب وزير خارجيته أحمد داود أغلو منسق سياسة تركيا الخارجية الجديدة للقيام بزيارة مباغته إلى دمشق للقاء الرئيس السوري بشار الأسد ، بهدف تحريك عملية المفاوضات غير المباشرة مع إسرائيل في محاولة وصفها البعض باليائسة من أجل إمساك أنقرة بخيوط وساطة أضفت لدورها بعدا و عمقا على الصعيدين الإقليمي و الدولي غير أن تدهور العلاقات التركية الإسرائيلية منذ حالة العدوان الإسرائيلي على غزة في نهاية عام 2008 ، كشف النقاب عن التصاق حكومة العدالة التركية بالقضية الفلسطينية وهو أمر لا يجب النظر إليه كموضوع منعزل إنما بصورة تتعلق بالموقع الذي ترى به تركيا نفسها في الساحة الدولية ، فمنذ فوز حزب العدالة الحاكم بأصوات كافية في انتخابات 2002 ليودع شركاءه في الائتلاف ، اتخذ طريقا جديدا يتسم بالجرأة في السياسة الخارجية للبلاد تعتمد على تعدد المحاور ، غير أنه أثار ومازال يثير القلق في الغرب من أن حزب العدالة ذا الجذور الإسلامية قد يدفع تركيا إلى اتجاه لا تؤيده أوروبا و واشنطن ، مما يترتب عليه وضع عراقي في طريق انضمامها للاتحاد الأوربي برغم محاولاتها الحثيثة لتطبيق معايير الاتحاد ومعها تراجعت أهمية ترشيح أنقرة لعضوية الاتحاد وتحت حكم أردوغان² .

1 - إبراهيم حمدي، "عشرة أسباب وراء بدء دمشق مفاوضات غير مباشرة برعاية تركية" ، جريدة الحياة، 28-5-2008 .

2 - نبيل عز الدين جميل عطية ، نبيل عز الدين عطية ، "عملية صنع القرار في السياسة الخارجية التركية اتجاه سوريا والعراق 1990-2007" ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم

السياسية ، 2010، ص 111 .

ودفعت تلك التطورات أردوغان في حديثه قبل يوم واحد من احتفالات التوسع الأوروبي في دبلن في الأول من مايو إلى القول: بأن أوروبا ليست الخيار الوحيد المتاح أمام تركيا ، فيما يشير بوضوح إلى أن لتركيا خيارات أخرى أهمها بطبيعة الحال عودتها إلى عمقها الجغرافي الحضاري ، ممثلا في المنطقة العربية بصفة خاصة ، والشرق الأوسط بشكل عام¹.

كما شكلت تطورات البيئة الإقليمية وبعض أوجه "القصور" في أداء الأطراف الإقليمية الأخرى مصدرا مهما لزيادة بروز الدور التركي كوسيط في المسارات المختلفة للصراع ، فعلى سبيل المثال تشير التحليلات إلى أن أحد العوامل الأساسية التي دفعت سوريا إلى تفضيل التدخل التركي في مفاوضاتها مع إسرائيل هو توتر علاقات سوريا مع بعض الدول العربية الفاعلة ، وهو ما ظهر بشكل خاص في أعقاب القمة العربية في دمشق في مارس 2008 وهو ما جعل لجوء سوريا لطلب التدخل المصري ممثلا أقل احتمالا².

كما أن التطورات الإيجابية في العلاقات السورية التركية ساهمت في تقليل المخاوف التركية من التأثيرات السلبية المحتملة لأي تسوية سورية إسرائيلية على قضيتي الدعم السوري لحزب العمال الكردستاني ، والمطالبة بالإسكندرونة³.

وأكد الرئيس التركي السابق ديميريل أن تركيا تتطلع إلى تحقيق سلام سوري إسرائيلي رغم خلافات سوريا مع تركيا، لأنها تعتبر سوريا دولة جارة وليست عدوا ، مع التأكيد على أن هذا السلام لن يكون على حساب العلاقات التركية الإسرائيلية ، ولن يخصم من عمقها على جميع الأصعدة الدبلوماسية والتجارية والاقتصادية والعسكرية والثقافية ، كما أن العلاقات التركية الإسرائيلية لن تتأثر سلبا بالتحسن في العلاقات السورية التركية بعد اتفاق أضنه⁴.

ورغم أن السلام في المنطقة قد بات مصلحة تركية إقليمية، فإن ذلك لا يقلل من أهمية هذه الوساطة و التطلع إلى السلام كخيار استراتيجي يحقق الاستقرار ، والأمن والتنمية في المنطقة، بل يخلق المزيد من الحوافز

1- أسامة عبد العزيز ، " في زيارة اردوغان لدمشق : تركيا تسعى للحفاظ على دور الوسيط " ، جريدة الأهرام ، 24 / 08 / 2009.

2- عسيلة صبحي، "المفاوضات السورية - الإسرائيلية: المصالح في مواجهة الثوابت" ، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، العدد 18، 2008، ص30.

3- جلال عبد الله معوض ، دور تركيا الاقليمي في الشرق الأوسط في : وحيد عبد الحميد(محرر) ، موسوعة أحداث القرن العشرين - الجزء الثاني - : العلاقات الدولية ، القاهرة : دار المستقبل ، 2000 ، ص 249-250 وانظر كذلك : حامد محمود عيسى ، القضية الكردية في تركيا ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، 2002 ، ص 330-332 .

4- جلال عبد الله معوض ، مرجع سابق الذكر، ص 273 .

لإنجاحها وإيصالها إلى بر الأمان ، وهذا ما يقتضي تحليل مواقف الأطراف المختلفة ودوافعها إزاء قبول التدخل التركي وتصوراتها لطبيعة هذا التدخل .

المحور الثالث : موقف طرفي الصراع من الوسيط التركي

أعلنت سوريا وإسرائيل بعد سنوات من توقّف المفاوضات الرسمية بينهما بشكل مفاجئ عن بدء مفاوضات سلام غير مباشرة بوساطة تركية، و أكد وزير الخارجية السورية أن مفاوضات غير مباشرة بين بلاده وإسرائيل بدأت في تركيا مع وساطة رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان ، وقال : إن المفاوضات تمت بعد أن أبلغ أردوغان الجانب السوري منذ فترة وجيزة بالتزام إسرائيل بالانسحاب التام من هضبة الجولان إلى خط الرابع من يونيو 1967¹ .

واللافت للانتباه هنا هو كيف قبل الطرفان الرجوع إلى حلبة المفاوضات بعد فشل جل الجولات التي أقيمت بين الطرف السوري والإسرائيلي وعدم انتهاج سياسة التنازل من قبل الطرفين من قبل ، فما هي يا ترى أسباب وخلفيات رجوع كلا الطرفين إلى الحلبة الدبلوماسية بوساطة تركية ؟ .

أولا : أسباب الطرف العربي من التوسط التركي في الصراع العربي الإسرائيلي

إن أحد دوافع الجانب السوري في تشجيع الدور التركي في رعاية المفاوضات غير المباشرة بين سوريا وإسرائيل هو الرغبة في "تحييد" تركيا كأحد مصادر الضغط على النظام السوري ، وظهر ذلك بوضوح في التصريحات الصادرة عن الرئيس السوري خلال استقباله غل في زيارته الأولى كرئيس للجمهورية إلى دمشق في مايو 2009، حيث ذكر أنه " كانت هناك محاولات لزعزعة الاستقرار في سوريا ولحاصرتها، وكانت هناك رغبة لدى البعض في زج تركيا بهدف إضعاف العلاقة السورية التركية" ، لكن كان الرد التركي " وفقا له " معاكسا ، من خلال المزيد من التنسيق والوعي بأهمية العلاقات بين الدول المتجاورة ، خصوصا الدول المهمة منها ، والتي تلعب دورا فاعلا وأساسيا في القضايا المختلفة"² .

1 - " سوريا وإسرائيل تبدأ مفاوضات غير مباشرة" ، صحيفة الأهرام، 22-5-2008.

2-1 الأسد: لا استغناء عن دور أنقرة عندما يتوافر الشريك...، جريدة الحياة ، 16-5-2009.

وثمة دافع آخر تتضمنه خطابات أطراف الصراع صراحة أو ضمنا ، وهو الاستجابة لتطلعات تركيا لتعزيز مكانتها في المنطقة فمثلا ، أشار الرئيس السوري إلى أن الدور التركي في مفاوضات السلام غير المباشرة بين سوريا وإسرائيل "جعل منها لاعبا أساسيا في عملية السلام في الشرق الأوسط" بحيث أنها ستصبح لاعبا لا يمكن الاستغناء عنه عندما يكون هناك شريك مستقبلي للسلام¹ .

وبالمثل، عبر العديد من المسؤولين الفلسطينيين عن أهمية العلاقات التركية الإسرائيلية في منح تركيا مركزا مميزا كوسيط- مقارنة بالدول العربية القائمة بالوساطة والتدخل- على نحو قد يمكن تركيا من إقناع إسرائيل بوقف عملياتها العسكرية، وقد أشار السفير الفلسطيني لدى تركيا إلى أن تركيا هي الطرف الوحيد في المنطقة القادر على الضغط على إسرائيل ، حيث أشار السفير الفلسطيني في تركيا نبيل معروف إلى امتلاك تركيا قدرات تؤهلها لدور نشط في معالجة القضية الفلسطينية، بالنظر إلى قدراتها المستمدة من "سكانها ، وتاريخها ، وعلاقاتها مع الولايات المتحدة وإسرائيل، واقتربها من عضوية الاتحاد الأوروبي، وعضويتها في الناتو " ، إلا أن معروف يخلص إلى توصيف مختلف للدور التركي يكاد يخرج به من نطاق الوساطة إلى التدخل كطرف ثالث حليف للفلسطينيين، أو كوسيط يركز على آليات "استغلال القوة " باستغلال جميع القدرات التركية للضغط على إسرائيل، وعدم الاكتفاء باستراتيجيات تسهيل الاتصالات أو حتى تحويل هيكل الصراع عبر الآليات الاقتصادية، فوفقا للسفير الفلسطيني فإن قدرات تركيا و مكانتها "كأكبر قوة إقليمية في الشرق الأوسط" تجعلها قادرة على الضغط على إسرائيل وتقديم المزيد لدعم القضية الفلسطينية وتحقيق السلم والاستقرار في المنطقة ، وانتقد السفير الفلسطيني ربط المسؤولين الأتراك الدور التركي بدعوة الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني ، حيث أن "الإسرائيليين لن يدعوا تركيا أبدا للمشاركة في الشرق الأوسط، فهم لن يقبلوا أية جهة غير الولايات المتحدة ، إن تركيا كقوة إقليمية عليها أن تفرض آرائها باستخدام جميع أوراقها و مصادر قوتها"² .

وبالإضافة إلى ذلك ، هناك من يرى أن من بين أسباب قبول التفاوض على مستوى الجانب السوري هو محاولة سوريا الاستفادة من التناقضات القائمة بين طهران وأنقرة في العديد من القضايا طلباً للخطوة لدى كل منهما، وما بين تل أبيب وواشنطن من أجل حُطوة مماثلة، ويضيف المراقبون أن سوريا تحاول من خلال المفاوضات قطع الطريق على إمكانية تكرار تجربة أوصلو، حيث فوجئ الجميع بالاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي ، حتى لا تظل

1 - نفس المرجع السابق .

2 - "Palestinian Ambassador to Turkey Nabil Maarouf: We are Satisfied With the Political Position of Turkey " , Journal of Turkish Weekly, www.turkishweekly.net, 15-6-2006.

قضية الجولان بمنأى عن الاهتمام الدولي والإقليمي، هذا بالإضافة إلى أن التفاوض حسبما يعتبره البعض رسالة سورية إلى بعض الدول العربية بأن سوريا تملك قرارها السياسي دون تبعية لإيران حتى في أشد المسائل تعقيداً¹.

كما يرى البعض أن سوريا كانت تمر بمرحلة تفوق استراتيجي علي إسرائيل تتيح لها شن هجوم سلام استراتيجي انطلاقاً من عدة حقائق تتمثل في:

أولاً : تعزيز الموقف الإقليمي لسوريا، خصوصاً بعد إخفاق الحرب الإسرائيلية على لبنان في يوليو 2006.

ثانياً: فشل الولايات المتحدة في إضعاف سوريا أو عزلها عن السياسة الإقليمية، وهو ما تجلّى في استنتاجات تقرير (بيكر هاملتون).

ثالثاً: ضعف الحكومة الإسرائيلية برئاسة أولمرت، وتراجع موقفها داخلياً، خصوصاً بعد إخفاقها من الناحيتين السياسية و العسكرية في حربها ضد لبنان في صيف 2006.

رابعاً: اعتراف الولايات المتحدة بفشل مشروعها في المنطقة بأبعاده الأمنية والسياسية.

خامساً: تزايد الدور الإيراني في الشرق الأوسط، خصوصاً أن إيران دولة حليفة لسوريا ، ومن البديهي أن هذا الدور لا يهدد مصالح الولايات المتحدة فحسب ، وإنما يهدد أيضاً مكانة إسرائيل الإقليمية ، كما يهدد أمنها واستقرارها ، وعلى ضوء هذه الحقائق، فإن سوريا تريد الاستفادة من هذه المعطيات لتعزيز مكانتها التفاوضية وجلب إسرائيل لعملية السلام بما يساهم في تحسين البيئة الإستراتيجية لسوريا في الشرق الأوسط ، ويعيد لها أراضيها المحتلة².

ثانياً : أسباب الطرف الإسرائيلي من التوسط التركي في الصراع العربي الإسرائيلي

ثمة اتجاه يرى أن الموقف الأصلي لإسرائيل منذ بدء عملية السلام توافق إلى حد كبير مع تصورات تركيا لدورها، فتنشيط الدور التركي في عملية السلام واستضافة جولاتها عامة ينسجم مع المطلب الإسرائيلي في الحرص

1- إبراهيم حميدي ، مرجع سابق الذكر .

2 - حسن أبو طالب، " اللغز السوري بين الدور التركي و الصدعة الإيرانية" ، صحيفة الأهرام، 28-5-2008.

على أن تجري المفاوضات في الشرق الأوسط ، كدليل على اعتراف الدول العربية والإقليمية بإسرائيل ككيان طبيعي وشرعي في المنطقة ، ولو بحكم الواقع¹ .

و رغم بعض مظاهر التوتر التي شهدتها العلاقات التركية الإسرائيلية بعد وصول حزب العدالة إلى السلطة واحتلال العراق ، إلا أن إسرائيل عبرت عن تفضيلها الوساطة التركية على المسار السوري تحديداً ، والانطلاق منها للتأثير على المسارات الأخرى بما يخدم المصالح الإسرائيلية ، أي استغلال التطورات الإيجابية التي شهدتها العلاقات التركية السورية ، من أجل دفع تركيا إلى الضغط على سوريا فيما يخص دعمها لحزب الله في لبنان وحركة حماس في فلسطين ، فقد أشار أولمرت أثناء زيارته لتركيا في 14-15 فبراير 2007 إلى رغبة إسرائيل في أداء تركيا دور الوسيط بين إسرائيل والدول المسلمة التي ليست لها علاقات مع إسرائيل ، مع تأكيده على أهمية دور تركيا في تغيير مواقف القوى الراديكالية في المنطقة ، وذلك في إشارة إلى حماس وحزب الله وسوريا ذاتها² .

و بالمثل، أشار باراك في فبراير 2008 -أثناء زيارته الأولى لأنقرة بعد توليه منصب وزير الدفاع - إلى أن "وساطة تركيا طبيعية لكونها تملك قابلية وقدرة على فهم المنطقة وعلى القيام بدور مؤثر في القضايا الثلاث التي تهدد المنطقة، وهي أسلحة الدمار الشامل، والإسلام الراديكالي والدول المارقة"³ .

و ثمة دافع إسرائيلي آخر، يمكن اعتباره مرتبطاً بالسعي للاستفادة من خصوصية الوسيط التركي تحديداً، بالنظر إلى خلافاته السابقة مع الجانب السوري، وكيفية معالجته لها ، وفي هذا الإطار ، يصبح أحد دوافع إسرائيل هو الرغبة في دور تركي كوسيط نموذج أي المضاهاة بين تركيا وإسرائيل بحيث تساعد تركيا إسرائيل للوصول إلى ذات نمط التسوية المتحققة على المسار التركي السوري، فاتفاقية أضنة التركية السورية لعام 1998 ، والتي شكلت أساساً لبداية التحسن في العلاقات التركية السورية ونزع فتيل الأزمة التي كادت تصل إلى حد المواجهة العسكرية المباشرة بين الجانبين ، وتمثل إلى حد كبير نموذجاً ترغب إسرائيل في تكراره لإنهاء الدعم السوري لحركات المقاومة المسلحة ضدها⁴ .

1 - أتمن إبراهيم الدسوقي ، مرجع سابق الذكر، ص 292-293 .

2- على جلال معوض ، " الدور الإقليمي لتركيا في الشرق الأوسط 2002-2007" ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، 2009 ، ص 220

3- نفس المرجع السابق ، ص 225.

4- حامد محمود عيسى ، مرجع سابق الذكر ، ص 329-330 . وانظر كذلك : محمد ضيف الله محمد المطيري ، مشكلتنا الموصل والأسكندرون والعلاقات العربية التركية ، القاهرة : الشركة العصرية للطباعة ، 2003 ، ص 140-142 .

و قد ظهر مفهوم "الوسيط النموذج" بوضوح كذلك فيما يتصل بمعالجة الخلافات الإقليمية الإسرائيلية السورية على غرار المعالجة التركية السورية لمسألة الإسكندرونه /هاتاي¹.

وذلك في الخطاب الذي أرسله المستوطنون الإسرائيليون في الجولان إلى أردوغان، لدى الإعلان عن الدور التركي في الوساطة بين سوريا وإسرائيل، في إبريل 2008 ، ففي هذا الخطاب عارض المستوطنون أي تسوية تقوم على تنازل إسرائيل عن الجولان كشرط مسبق لمحادثات السلام ، وطالبوا أردوغان بـ"تبنى اقتراح شبيه بذلك الذي استخدم في حل النزاع التاريخي التركي السوري حول مقاطعة هاتاي الجنوبية"² .

وقد سبقت ذلك مؤشرات أخرى على طرح هذا الدور التركي ، ففي يناير 2005 و أثناء عقد مؤتمر مشترك بين وزير الخارجية التركي غل ونظيره الإسرائيلي سيلفان شالوم في القدس، سأل المحلل السياسي للشؤون العربية في القناة الثانية للتلفزيون الإسرائيلي الوزير التركي عما إذا كان "الاعتراف السوري بالسيادة التركية الكاملة على مقاطعة هاتاي يمثل سابقة لحالة مرتفعات الجولان؟" ورغم أن وزير الخارجية التركي أجاب بأن "الحالتين ليستا متشابهتين ، لأنه لا يوجد نزاع إقليمي بين تركيا وسوريا، بينما في الحالة الثانية، أقرت الأمم المتحدة بأن الإقليم [أي الجولان] محتل "، إلا أن ذلك لم يمنع العديد من التحليلات إلى الإشارة إلى تعبير وزير الخارجية الإسرائيلي عن إعجابه بهذا السؤال ، فضلا عن دلالات هذا السؤال في توضيح التأكيد الإسرائيلي على التشابه بين الخلافات السورية التركية والسورية الإسرائيلية³ .

وثمة اتجاه آخر ينفي ما قيل تماما ، حيث ذهبت بعض التحليلات إلى امتلاك إسرائيل عوامل تدفعها إلى التردد بشأن تنشيط التدخل التركي في الصراع العربي الإسرائيلي، وقد ظهر ذلك بوضوح في أعقاب الهجوم الإسرائيلي على غزة ورفع في مايو 2004 عندما أعلن رئيس الوزراء التركي في الثاني من يونيو أمام مؤتمر دولي تنظمه الرابطة العالمية للصحف في إسطنبول أن شارون قد دفن عروض تركيا للوساطة بين الإسرائيليين والفلسطينيين بسياسة الاغتيالات والهجمات التي لم تترك مجالاً لجهود السلام التي تبذلها تركيا ، وفي منتصف يوليو 2004 ، وصل ايهود أولمرت - نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي شارون آنذاك- إلى أنقرة في زيارة مؤجلة من شهر مايو ، وذلك لاستيعاب الخلافات مع تركيا - لاسيما تلك المتصلة بالتعاون الإسرائيلي مع الأكراد في شمال

1 - نفس المرجع السابق، ص 95-150 .

2 - "Israelis appeal to Erdoğan on Golan handover", Today's Zamanat: <http://www.zaman.com>, 26-4-2008.

3- علي جلال معوض ، مرجع سابق الذكر، ص 200.

العراق وكذلك الانتقادات التركية للسياسات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين - إلا أن أردوغان رفض استقباله متذرعاً بقضاء عطلة قصيرة ، في حين بادر إلى استقبال رئيس الوزراء السوري الذي تزامنت زيارته لأنقرة مع زيارة أولمرت وصرح أردوغان في مؤتمر صحفي مشترك مع نظيره السوري أن الحل العادل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي هو الجلوس على طاولة المفاوضات و هو الشرط الأساسي للسلام في الشرق الأوسط ، وهو ما أثار انتقادات من أولمرت الذي صرح قبل مغادرته أنقرة بأنه ليس في استطاعة تركيا أو أية دولة أخرى في هذه المرحلة أن تساهم في رعاية السلام ما بين إسرائيل وجيرانها في الشرق الأوسط ، لأن "تل أبيب ليست بصدد التفاوض مع الفلسطينيين، ولا ترى أن خلافها مع سوريا يحتل أولوية في اهتماماتها"¹.

ووفقاً لهذه التحليلات ، قامت نظرة حكومة شارون لتركيا على أنها المنافس الرئيسي لإسرائيل على الدور المركزي في منطقة الشرق الأوسط ، إذ لا تخفى إسرائيل مخاوفها من تزايد الدور التركي في المنطقة، وتمتنع بالتالي عن إعطاء أوراق لتركيا بشأن الوساطة مع سوريا أو بشأن تحسين الظروف المعيشية للفلسطينيين ، بهدف تقويض محاولات تركيا للبحث عن دور لها في منطقة الشرق الأوسط في المرحلة المقبلة ، وذلك لكي تصبح إسرائيل هي الدولة المحورية والمركزية في أي ترتيبات إقليمية جديدة².

ويكشف العرض السابق أن أطراف الصراع عبروا - بشكل عام - عن توجهات إيجابية نسبياً إزاء فكرة التدخل التركي إجمالاً، لكن الدوافع والأسباب التي قدموها للترحيب بالدور التركي تتجاوز تلك المتصلة مباشرة بقدرات تركيا على التدخل على نحو يكفل معالجة فعالة للصراع ذاته ، كما أن هناك اختلافات - تصل إلى حد التناقض أحياناً - بين ما تطرحه هذه الأطراف من توقعات للدور التركي المنتظر كوسيط في الصراع العربي الإسرائيلي .

تنطلق الحسابات الإسرائيلية من قراءة مفادها : أن قدرة سوريا على ضبط الأوضاع في جوارها الإقليمي قد دلت عليها تجارب كثيرة في الماضي، وبالأخص في لبنان، كما أن سوريا وبالرغم من الفوارق التسليحية الكبيرة بينها وبين إسرائيل قد أفلحت في بناء واحدة من أقوى الترسانات الصاروخية في دول الطوق العربية، وهي قادرة على أن تصل أي نقطة داخل إسرائيل، وهذا ما يضمن لدمشق أهمية استثنائية من المنظور الإسرائيلي، و ربما يكون الخلاف في إسرائيل دائراً فقط حول الثمن الذي تستطيع إسرائيل أن تدفعه مقابل السلام مع سوريا، دون

1- احمد دياب ، " تركيا وإسرائيل... أزمة عابرة أم منافسة قادمة ؟ "، السياسة الدولية، العدد 158 ، 2004 ، ص 166-167 .

2- على جلال معوض ، مرجع سابق الذكر ، ص 210 .

أن تصدع تحالفاتها السياسية الداخلية الهشّة، و ليس حول تقويم الدور السوري الحاسم في تثبيت توازنات المنط¹. ولقد نشر معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي في دورياته تحت إطار (الملخص السياسي) تقريراً يحمل الرقم (2) ، بعنوان: "هل على إسرائيل أن تطلق مفاوضات مع سوريا؟"، وفي إطار تناوله لمصلحة إسرائيل في التوصل إلى اتفاق مع سوريا، يسوق أنصار هذا الاتجاه بأن لإسرائيل مصلحة حقيقية في ذلك بناءً على الحجج التالية: أن الرئيس السوري ، يريد بصراحة الوصول إلى اتفاق مع إسرائيل وهو جاهز لذلك ، ووافق بعد مرور مدة من تسلمه السلطة ، وهو ليس مقيداً كما كان والده، فالاتفاق مع سوريا سهل نسبياً ، فمعظم الأمور تم الاتفاق عليها في الماضي على الورق، والشمن معروف جيداً، وتم ذكره من قبل ثلاثة أو أكثر من رؤساء الوزراء، وهو الانسحاب من كل مرتفعات الجولان حتى خط 4 يونيو 1967م ، و قد لا تكون سوريا قادرة على الانفصال عن إيران بشكل سريع وكلي ، لكن روابطها مع إيران ستكون محدودة، فلن يتم نزع سلاح حزب الله ، لكن باستطاعة سوريا وقف إمدادات السلاح عنه وقطعها ، وهو ما سيضعفه ، ويحقق الاستقرار السياسي في لبنان والحصيلة أنه سينخفض الاحتكاك ، وسيكون لذلك أهمية كبر ، خصوصاً في حال تحوّل إيران إلى دولة نووية ستهجر سوريا الإرهاب ، وذلك لعدد من الأسباب الجوهرية ، من بينها أن اقتصادها المهترس سيكون بحاجة إلى مســــاعدات واســــتثمارات مــــن الغــــرب².

هذا و قد نشر موقع ستراتفوردي الاستخباري الأمريكي على موقعه الإلكتروني تحليلاً حمل عنوان "إسرائيل ، سوريا : مفاوضات مرتفعات الجولان مقابل السلام" ومما جاء فيه³ : أن إسرائيل لم تعد بحاجة إلى مرتفعات الجولان بسبب فقدانها لقيمتها الإستراتيجية، وأشار التقرير إلى أن إسرائيل استولت على مرتفعات الجولان في حرب 1967 ، وتبلغ المساحة المتنازع عليها (460) ميلاً مربعاً، وتضمن (جبل حرمون) ، الذي يرتفع حوالي (9230) قدماً عن سطح البحر ، وبرغم أن العديد من رؤساء الوزراء الإسرائيليين بمن فيهم إيهود باراك وزير الدفاع الحالي ، وإسحق رابين ، وشيمون بيريز ، وبن يامين تتناهبو قد طرحوا فكرة التخلي عن الجولان مقابل السلام مع سوريا ، فإن النزاع و الخلاف حول المنطقة بقي مستمراً للعديد من الأسباب : تريد إسرائيل أن تضمن أنها لو تحلّت عن الجولان ، فإن سوريا لن تقوم بمنعها من الوصول إلى مياه بحيرة طبرية ، ونهر الأردن اللذين يمثلان مصدر المياه العذبة الرئيسية لإسرائيل ، ويزودانها حالياً بثلث احتياجاتها من مياه الشرب ، وكذلك

1 - مصطفى اللباد، ما هي احتمالات التسوية بين إسرائيل وسوريا، موقع: www.aarraee.com

2- علي حسين باكير، كيف تنظر (إسرائيل) إلى المفاوضات مع سوريا؟، موقع: www.islamonline.net، نقلاً عن موقع الحملة العالمية لمقاومة العدوان، 4-2-2008م

3- بوش، أولرت، أردوغان، مناورات دبلوماسية في الجولان، العودة إلى (الخيار السوري) ماله وما عليه، موقع: www.dalilak.com

مشكلة (جبل حرمون) الذي تستخدمه إسرائيل للأغراض العسكرية ، فإن الإسرائيليين يتخوفون من أن يتم استخدامه للأغراض العسكرية ضد إسرائيل بعد انسحابها منه، إلا أن إسرائيل في الفترة من عام 1967 وحتى الآن استطاعت الحصول على الكثير من القدرات العسكرية و الاستخباراتية ، والاستطلاعية ، وحالياً لا تحتاج إسرائيل لجبل (حرمون) ، كما كانت في الماضي، ومن ثم فإن الانسحاب الإسرائيلي من مرتفعات الجولان قد يترتب عليه على الأرجح أن تتحول كامل المنطقة إلى منطقة منزوعة السلاح ، وتبقى هناك مسألتان مهمتان لاحتمال التخلّي عن الجولان ، وهما : أنه سبق أن استخدم السوريون مرتفعات الجولان لقصف المستوطنات الإسرائيلية قبل عام 1967م ، ورغم أنه أمر قديم ، فإنه مازال موجعاً في الذاكرة الإسرائيلية، وبالنسبة لسوريا فإن التواؤم والتكيف مع وجود دولة يهودية سيؤدي إلى اضطراب داخلي و إلى قطيعة مع إيران .

خاتمة :

يكشف التحليل ضمناً عن تعدد موضوعات وجوانب الأدوار التركية في الشرق الأوسط كما تردد في خطابات مسؤولي العدالة والتنمية ، مع إمكانية إدراجها جميعاً في إطار دور جامع لتركيا باعتبارها "مركزاً لتحقيق الأمن والاستقرار" في المنطقة ، شأنها في ذلك شأن الأقاليم المتعددة الأخرى التي تنتمي إليها تركيا وتؤثر فيها ، بحكم مكانتها كدولة "مركز" تتمتع بالعمق التاريخي والجغرافي أو الجيوستراتيجي، في هذا الإطار، تقع الغالبية العظمى من الأدوار التركية - بأبعادها المختلفة السياسية والاقتصادية والمعنوية والأمنية - في نطاق الأدوار التعاونية ، وهو ما يظهر في دور تركيا كقناة اتصال و وسيط بين الأطراف المتصارعة المختلفة في المنطقة وهذا ما تجلّى وبوضوح في وساطتها في الصراع العربي الإسرائيلي ، وشريك نشط في معالجة الخلافات السياسية في المنطقة ، ومركز لتعزيز الاعتماد الاقتصادي المتبادل على المستوى الإقليمي .

ورغم الضجيج الإعلامي حول ما نسب إلى تركيا من أدوار جديدة خلال فترة حكم العدالة والتنمية و من بينها الوساطة التركية ، إلا أن ما فعله الحزب في جزء كبير منه كان أقرب إلى إحياء وتوليف لأدوار كان معبراً عنها في الحوار السياسي التركي ، ومواصلة مبادئ وتطورات سابقة على وصول الحزب إلى السلطة ، فرغم تأكيد الحزب على تميز رؤيته في مجال السياسة الخارجية ، إلا أن العديد من عناصر هذه الرؤية غير منقطع الصلة تماماً عن الرؤى الأخرى التي وجهت السياسة الخارجية التركية في فترات سابقة ، فأصول هذه الرؤية قابلة للتعبق في " العثمانية الجديدة" لدى أوزال، و السياسة الخارجية "متعددة الأبعاد" لحكومة أربكان ، بل إن العديد من عناصر هذه الرؤية تتلاقى -على نحو يكاد يكون تكراراً- مع العناصر المطروحة رسمياً أثناء فترة تولي إسماعيل جيم وزارة

الخارجية سابقا ، حيث أنه ذكر أن ثمة إدراك أن تركيا المعاصرة تمثل في وقت واحد سبع قرون من العثمانية مع الثورة والجمهورية¹ .

ولعل ذلك ما دفع أحد الدبلوماسيين الأتراك إلى وصف رؤية آق في مجال السياسة الخارجية بأنها "خمر قديم في أوان جديدة" حيث يملك الحزب و أوغلو القدرة على "إعادة تغليف مبادئ السياسة الخارجية بحيث تبدو كما لو كانت جديدة" ، في حين أنها لا تعدو أن تكون إعادة للتأكيد على ضرورة التزام تركيا سياسة خارجية نشطة في دوائرها الإقليمية المختلفة² .

كما أن التأكيد على الأدوار التعاونية والتراجع في الأدوار الصراعية أو العسكرية لتركيا في المنطقة لا يرجع فقط إلى رؤية الحزب وسياساته ، بقدر ما ظهرت بداياته في مراحل سابقة ، كان من أهمها تراجع حدة الخلافات التركية السورية بعد الإذعان السوري للمطالب التركية فيما يتعلق بالتوقف عن دعم حزب العمال الكردستاني على ضوء اتفاق أضنة بين الجانبين ، فضلا عن التحركات التركية لتعزيز العلاقات الاقتصادية مع العراق ، والمناداة برفع العقوبات عنه ، وتراجع نطاق العمليات العسكرية التركية في شمال العراق بعد اعتقال أوجلان وإعلان حزبه وقف إطلاق النار .

إلا أن ذلك لا ينفي إسهام حكومة العدالة في توفير أسس وأبعاد جديدة للأدوار التركية في المنطقة فمن ناحية ، طرحت الحكومة ومستشاريها في مجال السياسة الخارجية أساس فكري أكثر تكاملا ومزجا بين الأبعاد الثقافية والجغرافية والإستراتيجية للدفع بضرورة تنشيط الأدوار التركية ، وهو ما تحقق بشكل أساسي من خلال جهود أحمد داود أوغلو في التأكيد على مكانة تركيا كدولة مركز ذات عمق استراتيجي .

والملاحظ أن ثمة خصائص جديدة للسلوك التركي تجاه الدول العربية ومن أهم هذه الخصائص زيادة المرونة والفعالية والديناميكية والمبادرة وتزايد الخيارات وإتباع سلوك خارجي أكثر استقلالا نسبيا عن نفوذ الغرب ، ومحاولة إيجاد حلقة واسعة للتعاور والتفاهم وهذا ما تجلّى مع سوريا والعراق .

و وفقا لهذا ، يتفق الباحث مع التوصية التي خلص إليها آخرون من ضرورة أن يكون التقييم العربي للوساطة التركية موضوعيا وعقلانيا ، فلا يرفع سقف التوقعات منه إلى حد الرهان الكامل عليه ، ولا يبخسه حقه فيتجاهله أو يقلل من قدره وقدرته ، كما أن دورها يدرج ضمن الدور النشط و الحيوي ويستحق رهانا موضوعيا

1 - الشرقاوى باكينام ، المرجع السابق الذكر، ص 13-14 . بصرف

2 - Lale Sari Ibrahimoglu. Davutoglu Promoting "Strategic Depth" in Turkish Foreign Policy. EDM,6(89) . 8-5-2009,at:
<http://www.turkishdigest.com/2009/05/davutoglu-promoting-strategic-depth-in.html>

مدروسا ، لكنه أيضا دور مشارك وليس أصيلا ، مقيد بعوامل ذاتية ومعطيات خارجية وأدوار ومواقف أطراف أخرى بعضها مبادر ومبادئ ، أما البعض الآخر (الطرف العربي) فحري به الاضطلاع بمسؤولياته أولا قبل الرهان على دور تركي أو الارتكان به .

قائمة المراجع باللغة العربية :

أولا: الكتب

- 1- احمد نوري النعيمي ، يهود الدونمة ، بيروت: دار البشير ، 1995.
 - 2- _____، _____ ، تركيا وحلف شمال الاطلسي ، عمان :المطبعة الوطنية ، الطبعة الأولى ، 1981، ص75.
 - 3- اكمل الدين إحسان اوغلو ، العلاقات التركية العربية من منظور تركي ، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية ، 1993 .
 - 4- بطرس بطرس غالى ، محمود خيرى عيسى ، مدخل في العلاقات السياسية ، القاهرة : مكتبة الانجلو مصرية ، 1990.
 - 5- جلال عبد الله معوض ، دور تركيا الإقليمي في الشرق الأوسط في : وحيد عبد المجيد(محرر) ، موسوعة أحداث القرن العشرين – الجزء الثاني - : العلاقات الدولية ، القاهرة : دار المستقبل ، 2000 .
 - 6- جودة حسنين جودة ، على أحمد هارون ، جغرافية الدول الإسلامية ، الإسكندرية : منشأة المعارف ، 1999 .
 - 7- على حسين باكير وآخرون ، تركيا بين تحديات الداخل و رهانات الخارج ،لبنان : دار العلوم للناشرين ، 2009 ، الطبعة الأولى .
 - 8- عبد الوهاب بكر ، العلاقات التركية العربية من منظور عربي ، القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، الجزء 01 ، 1991 .
 - 9- رضا هلال ، السيف والهلال تركيا من أتاتورك إلى أربكان الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي ، القاهرة : دار الشروق ، الطبعة الأولى ، 1999.
 - 10- شلبية محمود إبراهيم ، السياسات الاتصالية و الإعلامية في العالم الإسلامي ، الرباط : المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، 2000 .
 - 11- يسرى الجوهري، جغرافيا دول الخليج العربي و المشرق الإسلامي ، الإسكندرية : مؤسسة الجامعة ، 2001 ،
- ثانيا : الدوريات**
- 1- الشرقاوي باكينام، " الشرق الأوسط الكبير :الرؤى التركية والإيرانية"، مركز البحوث والدراسات السياسية ، ديسمبر 2005 .
 - 2- ألاء الروبي ، " المصالح المتشاحنة ما بين إسرائيل و تركيا : رؤية إسرائيلية "، مركز الأهرام لدراسات السياسية و الإستراتيجية، العدد 10، أكتوبر 2009 .

- 3- احمد دياب ، " تركيا وإسرائيل ...أزمة عابرة أم منافسة قادمة ؟ " ، السياسة الدولية، العدد 158 ، 2004
4- محسن صلاح ، " تركيا والقضية الفلسطينية " ، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ،
العدد 17 ، 2010 .
- 5- معهد الإحصاءات التركي ، الكتاب الإحصائي السنوي 2012 ، أنقرة : الإحصاءات التركية ،
2007 .
- 6- نور الدين محمد ، " حوار أحمد داود أغلو : الإستراتيجية التركية الجديدة" ، شؤون الأوسط ، العدد
116 ، 2004 .

ثالثا : الدراسات الغير منشورة :

- 1- محمد العربي عويد مرضى ، "انضمام تركيا الى الاتحاد الاوربي وأثره في الأمن القومي العربي " ،
رسالة ماجستير ، جامعة بيروت العربية، كلية الحقوق، 2007.
- 2- أيمن إبراهيم الدسوقي ، "السلوك التركي تجاه القضايا العربية 1990-1997" ، رسالة ماجستير ،
جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، 2001 .
- 3- محمد ناجى عيسى أسعد ، " السياسة الخارجية التركية تجاه القضايا العربية دراسة حالة الأزمة
العراقية و القضية الفلسطينية 2003-2006" ، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية ، قسم
الدراسات السياسية ، 2007 .
- 4- نبيل عز الدين عطية ، " عملية صنع القرار فى السياسة الخارجية التركية اتجاه سوريا والعراق
1990-2007" ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، 2010
- 5- على جلال معوض ، " الدور الإقليمي لتركيا في الشرق الأوسط 2002-2007" ، رسالة ماجستير ،
جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، 2009 .

رابعا : جرائد ومواقع الانترنت

- 1- بشير عبد الفتاح ، " تركيا من استراتيجية الدولة العضو إلى الدولة المركز " ، سبتمبر 2008 ، اسلام
اون لاين نت :

<http://www.islamonlin.net/servlet/satellite>

- 2- محمد نور الدين ، الدور التركي في منطقة الشرق الأوسط ، جريدة الاتحاد اليومية (الصحيفة
المركزية للاتحاد الوطنى الكردستانى) ، 2005/05/10 .
- 3- أسامة عبد العزيز ، " تركيا الطامحة إلى ترسيخ دورها الإقليمي " ، جريدة الأهرام ، 2008-4-29.
- 4- مصطفى اللباد، بين المشاريع الثلاثة: الإيراني، والتركي، والإسرائيلي، الصراع على سوريا، صحيفة
الرأي www.arrae.com
- 5- إبراهيم حميدي، "عشرة أسباب وراء بدء دمشق مفاوضات غير مباشرة برعاية تركية " ، جريدة لحياة،
2008-5-28 .
- 6- أسامة عبد العزيز ، " في زيارة اردوغان لدمشق : تركيا تسعى للحفاظ على دور الوسيط " ، جريدة
الأهرام ، 2009/08/ 24 .
- 7- "سوريا وإسرائيل تبدآن مفاوضات غير مباشرة" ، صحيفة الأهرام، 2008-5-22.
- 8- لأسد: لا استغناء عن دور أنقرة عندما يتوافر الشريك... " ، جريدة الحياة ، 2009-5-16.

- 9- حسن أبو طالب، " اللغز السوري بين الدور التركي و الصدمة الإيرانية"، صحيفة الأهرام، 28-5-2008
- 10- مصطفى اللباد، ما هي احتمالات التسوية بين إسرائيل وسوريا، موقع : [www. aarraee.com](http://www.aarraee.com)؟

قائمة المراجع باللغة الأجنبية :

- 1- Alon ben Meir , "The Israeli – Syrian Battle for Equitable peace" , Middle East policy , vol . 3 , No 1, 1994 .
- 2- Gurkaynak,Esra Cuhadar.(2007).Turkey as a Third party in Israeli-Palestinian Conflict: Assessment and Reflections .Perceptions ,12(1),98-108
- 3 - Davutoglu Ahmed ,"Turkey's foreign policy vision: an assessment of 2007". Insight Turkey,(10) , 2008 .
- 4- Abdulah gul , horizons of Turkish Foreign Policy in the New century , from :[www.mfa.gov.tr/data/bakanlik/bakanlar/abdulahgul_kitap . pdf](http://www.mfa.gov.tr/data/bakanlik/bakanlar/abdulahgul_kitap.pdf).2007.
- 5- food and agriculture organization of the united nation FAQ , country profiles ,www.fao.org/country_profiles/index.asp .lang.turk
- 6- Palestinian Ambassador to Turkey Nabil Maarouf: We are Satisfied With the Political Position of Turkey ", Journal of Turkish Weekly,www.turkishweekly.net,15-6-2006.
- 7- "Israelis appeal to Erdoğan on Golan handover",Today's Zamanat:<http://www.zaman.com>,26-4-2008.